

إضاءة وضّاءة (11)

جانب من الجوانب المظلمة في عالم العملات المشفرة

إعداد: أمين ملايشه

التاريخ: 25/12/2025

المقدمة

في الأنظمة المالية التقليدية، يستطيع الإنسان أن يضع أمواله في بنك لسنوات طويلة، ثم يعود بعد عقد من الزمن ليجدها محفوظة ضمن إطار قانوني ومؤسسي واضح، دون الحاجة إلى متابعة تقنية أو فهم معمق للبنية التشغيلية للنظام المالي. هذا النموذج، ورغم بعض السلبيات، وفّر عبر الزمن نوعاً من الاستقرار النفسي والعملّي للمستخدم العادي.

أمّا في عالم العملات المشفرة، فالصورة مختلفة جذرياً.

في هذا العالم، لا يكفي أن تشتري أصلًا رقميًا وتتركه في محفظة لسنوات على افتراض أنه سيبقى قابلاً للاستخدام كما هو. غياب المتابعة، أو ضعف الفهم لطبيعة العملات الرقمية، أو إهمال تحديث المحافظ والتطبيقات، قد يقود إلى مخاطر استثمارية حقيقية، لا تتعلق فقط بتقلبات السعر، بل بإمكانية الوصول إلى الأصل نفسه.

في حالات كثيرة، يكشف المستخدم بعد سنوات أن أمواله ما زالت موجودة تقنيًا على شبكة البلوكشين (شبكة العملة الرقمية العالمية)، لكنها خرجت من دائرة الدعم العملي، أو أصبحت مرتبطة بأنظمة لم تعد مستخدمة أو مدعومة على نطاق واسع.

تسلّط هذه المقالة الضوء على أحد الجوانب المظلمة في عالم الكريبتو (العملات المشفرة)، وهو الاستثمار طويل الأمد القديمة المبنية على (TRX) دون وعي تقني أو متابعة مستمرة، مستندة إلى مثال واقعي يتمثّل في عملة ترونكس (ERC-20) شبكة إيثيريوم.

الخلفية التقنية: كيف بدأت المشكلة؟

على ERC-20 كرمز Tronix لم تكن للشبكة بنية مستقلة، لذلك أُطلقت عملة TRON في المراحل الأولى من مشروع أعلن عن TRON شبكة إيثيريوم، وهو خيار كان شائعًا ومفهومًا في ذلك الوقت. لاحقًا، ومع إطلاق الشبكة الرئيسية لـ عملية ترحيل رسمية لنقل العملة من شبكة إيثيريوم إلى شبكة ترون المستقلة.

تم تحديد فترة زمنية واضحة لهذا التبديل، وانتهت في مطلع عام 2019. بعد هذه المرحلة، أصبحت النسخ القديمة من العملة خارج إطار الدعم الرسمي لمعظم المنصات والمحافظ.

وهنا لم تختفِ العملة، ولم تُحذف من السجل الرقمي، لكنها انتقلت من كونها أصلًا متداولًا عمليًا إلى أصل موجود تقنيًا فقط.

الخطأ الشائع: إسقاط منطق البنوك على عالم الكريبتو

كثير من المستخدمين تعاملوا مع العملات المشفرة بمنطق مألوف:

شراء

تخزين

انتظار طويل

وهو منطق قد يعمل نسبياً في النظام البنكي التقليدي، لكنه يشكل مخاطرة حقيقية في عالم الكريبتو.

السبب بسيط: هذا العالم لا يتوقف عن التغير. الشبكات تتبدل، البروتوكولات تُحدث، الدعم يُلغى، والمحافظ تُغير سياساتها، أحياناً دون أن يشعر المستخدم العادي.

والنتيجة أن المستثمر، بعد سنوات من الغياب، يعود ليجد نفسه أمام أصل رقمي موجود على الورق التقني، لكنه معقد الاستخدام، أو غير مدعوم، أو يتطلب حلولاً استثنائية للوصول إليه.

الوجود التقني لا يعني القابلية العملية

من أكثر النقاط التباساً في عالم العملات المشفرة هو الخلط بين:

الوجود على البلوكشين

والقدرة على الاستخدام العملي

القديمة مثال واضح على ذلك. فهي ما زالت: TRX عملة

مسجلة على شبكة إيثيريوم

قابلة للرؤية عبر مستكشفات البلوكشين

مثبتة في السجل العام

لكنها في الوقت نفسه:

غير مدعومة من معظم المنصات الكبرى

غير مفعلة تلقائياً في المحافظ الحديثة

وتفتقر إلى سيولة حقيقية للتداول

وهنا يقع المستخدم في مأزق نفسي وتقني معاً: العملة موجودة، لكنها غير قابلة للاستخدام بسهولة، وهو وضع أكثر إرباكاً من فقدانها نهائياً.

دور المحافظ الرقمية في تعقيد التجربة

المحافظ الرقمية ليست خزائن محايدة، بل واجهات تقنية تعتمد على:

سياسات دعم

تحديثات

مزامنة مع الشبكات

في حالات الرموز القديمة، قد:

لا تعرض المحفظة الرصيد

أو تخلط بين شبكات مختلفة

أو تتوقف عن المزامنة كلياً

ما يدفع المستخدم إلى الاعتقاد بأن أمواله قد ضاعت، بينما الحقيقة أن الواجهة لم تعد قادرة على التعامل مع هذا الأصل.

في المسؤولية: قراءة متوازنة
من وجهة نظري، لا يمكن تحميل المسؤولية لطرف واحد فقط. المسؤولية في مثل هذه الحالات مشتركة، وتقع على عدة أطراف:

أولاً: المشتري (المستخدم النهائي)
من يدخل عالم العملات المشفرة يجب أن يكون واعياً لطبيعة هذا العالم، وأن يدرك أن الاستثمار فيه يتطلب حدًا أدنى من الفهم والمتابعة. الكريبتو ليس نظاماً مغلقاً ولا ثابتاً، ومن يتجاهل هذه الحقيقة يعرض نفسه لمخاطر حقيقية.

ثانياً: الوسيط (منصة، شخص، أو مكتب عملات)
الوسيط لا ينبغي أن يكون مجرد بائع. عليه مسؤولية أخلاقية في توضيح طبيعة الأصل الرقمي، والتنبيه إلى مخاطر التخزين طويل الأمد، خصوصاً عند التعامل مع مستخدمين غير تقنيين.

ثالثاً: مؤسسو العملات والمشاريع
من غير المنطقي أن تُترك نسخ قديمة من العملات لمصير تقني معقد، في عالم يعلم مؤسسوه جيداً أن شريحة واسعة من المستخدمين غير مهيةة تقنياً. وجود آليات دائمة للتحديث أو الترحيل، حتى مقابل نسب بسيطة، قد يحمي ملايين المستخدمين من الوقوع في هذه الإشكاليات.

البعد الأوسع: الاقتصاد وأمن المنظومة العالمية
في كثير من دول العالم، لا تزال البنية التقنية والثقافية غير مهيةة للتعامل مع العملات الرقمية. وهنا يظهر دور المؤسسات المالية والبنوك المركزية، ليس بهدف السيطرة، بل من خلال المراقبة والتغذية الراجعة لأنظمة المال والاقتصاد العالمية.

لأن أذرع الاقتصاد — الرقمية والتقليدية — مترابطة، وأي خلل مستمر في أحدها قد يتحوّل مع الوقت إلى مؤشر خطر يمسّ أمن المنظومة الاقتصادية ككل.

الخاتمة

هذا المقال لا يدّعي الإحاطة بكل تعقيدات عالم العملات المشفرة، ولا يقدم حلولاً نهائية، بل يهدف إلى رفع مستوى الوعي وإعادة طرح السؤال حول المسؤولية، والمعرفة، والمتابعة.

وما طُرح هنا ما هو الا القليل عن عالم العملات الرقمية المشفرة، جاء هذا الطرح بعد دراسة تحليلية وتجارب واقعية، في عالم ما زال يتشكّل، ويحمل فرصاً كبيرة بقدر ما يحمل مخاطر جسيمة لمن يتعامل معه بعقلية الأمس.